

## الابعاد السياسية والنظم الادارية والاقتصادية لدولة الاشراف السعديين للفترة

(٩١٥-١٠٧٠هـ / ١٥٠٩-١٦٥٩م)

### دراسة تاريخية

أ.د. محمد احمد هربود العيساوي

جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

#### الملخص

تأتي قوة المجتمعات من الاهتمام بالعلم والدراسة والتعليم، مما مكنها من مستوى عالٍ من التأثر والتأثير. ومن خلال هذه الدراسة، تم إنشاء الأنظمة لما يقارب القرنين من الزمن لإظهار تطور وأبعاد المفاهيم السياسية والاقتصادية والادارية في مؤسسات الدولة، وكان وراء إنشاء هذه الحالة كلها عدة أسباب أهمها أن الاشراف السعديين يعتقدون أن لديهم الحق في ملك بني وطاس الذين أخفقوا في ضم المغرب في وحدة سياسية متماسكة، في حين أن السعديين لم يأدوا دوراً في السلطة خلال عهد المرينيين، فكان للعامل الجهادي تأثير كبير على دعوة السعديين سواء كانوا القادمين منهم أو من خلايا شعبية دعتهم إلى القيام بهذا الواجب.

اتبع الحكام والولاة السعديين سياسة الزهد في الإشراف على السلطة الخارجية والقوة الخاصة للنصرانية ولاسيما البرتغاليين والإسبان، وذلك لرسم السياسة الخارجية للدولة، وتجدر الإشارة إلى ان هذا البلد وأنظمتها الإدارية والاقتصادية لعبت دوراً بارزاً في النهوض الحضاري في المغرب العربي، وأنها ليست مخفية من وقت لآخر، وهناك أسباب أدت إلى تدهور دولة الأشراف السعديين، أهمها الصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة. مما أدى سقوط الدولة، وهذا ما سنتناوله في هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الأشراف السعديين، المغرب العربي، بني وطاس، البرتغاليين، الإسبان.



**The political dimensions and administrative and economic systems of  
the Saadi Supervisory Authority for the period  
(915-1070 A.H/ 1509 - 1659 AD)  
Historical study**

**Prof Dr. Mohammed Ahmed Harbood Al- Issawi**

University of Tikrit

Faculty of Education for Human Sciences

**Abstract**

The power of societies comes from interest in science, study and education, enabling them to be highly sensitive and influential. In this study, the systems were created for nearly two centuries to show the evolution and dimensions of political, economic and administrative concepts in the state institutions. A cohesive political unit, while the Saadian did not play a role in power during the era of the Marines, the jihadist had a great influence on the invitation of the Saadian whether coming from them or from popular cells called to do this duty.

The rulers and the governors of Sa'adis followed the policy of asceticism in supervising the external authority and the special power of Christianity, especially the Portuguese and Spanish, in order to draw the foreign policy of the state. It should be noted that this country and its administrative and economic systems played a prominent role in the advancement of civilization in the Maghreb, There are reasons that led to the deterioration of the Saadian state of supervision, the most important of which is the conflict between members of the ruling family, which led to the fall of the state, and this is what we will discuss in this study.

**Keywords:** Ashraf Al Saadi, Maghreb, Beni Watas, Portuguese, Spaniards.

## المقدمة

اقدم الاشارات في الحضارة العربية والاسلامية تؤكد الى اطلالات ثمرة الاسلام بفترات شعرت بها الامة في المعرفة وفروعها من رقي وازدهار في ميادين الحياة العامة والخاصة عبر حقب مترادفة من الزمن ، ووصفت المعرفة بانها بستان وفروعها اغصان العلوم المختلفة ، وقيل السلف الصالح في وصف العلم ، انه عصمة الملوك فهو يمنعهم من الظلم ، ويردهم الى اللحم ، ويبعدهم عن الاذية ، ويعطفهم على الرعية ، فمن حقهم ان يعرفوا حقه ، ويستتبطوا اهله ، فأما المال فظل زائل ، وعارية مسترجعه ، وليس في كثرته فضيلة ، ولو كانت فيه فضيلة لخص الله به من اصطفاه لرسالته ، واجتباه ، وقد كان اكثر انبياء الله تعالى مع ما خصهم به من كرامة ، وفضلهم على سائر خلقه ، فقراء ولا يجدون بلغه : اي ما تبلغ به من قليل زاد ، ولا يقدرّون على شيء ، حتى صاروا في الفقر مثلا ، فقوة المجتمعات تاتي من الاهتمام بالعلم والدراسة والتعليم التي مكنتها من علو المنزلة ونفوذ الامر ، وحين ينظر الى الامة العربية والاسلامية ومن خلال دراسة التاريخ حتى من بعض المستشرقين يلاحظ وبصورة طبيعية ان تراثها الحضاري دخل في تكوين الحضارة المعنوية والفكرية والمادية وغيرها من المكونات الاخرى وهذه نتيجة حتمية ذات دلالات على نشاط العرب والمسلمين في بناء الارث للامة الذي هو دليل النهوض . وفي هذه الدراسة الابعاد السياسية والنظم الادارية والاقتصادية لدولة الاشراف السعديين سوف يتم الوقوف على الابعاد السياسية ونظمها الادارية والاقتصادية خلال فترة ما يقرب القرنين من الزمن لاطهار مدى تطور وابعاد المفاهيم السياسية ونظمها الاخرى في مؤسسات الدولة والدور التاريخي الذي اقترن بالانفتاح العام لها .

قسم موضوع الدراسة الى مبحثين سبقتهم مقدمة البحث وكانت خاتمة البحث ثم قائمة للهوامش المستخدمة في الدراسة .

فكان المبحث الاول : الاشراف السعديين وتأسيس دولتهم في المغرب الاسلامي ، وتناولنا فيه نسبهم واصولهم وموطنهم والعوامل المؤثرة لقيام تلك الدولة وازدهارها ، ثم تطرقنا الى الاسباب التي ادت الى تدهور وسقوط الدولة .

أما في المبحث الثاني : تطرقنا الى النظام السياسي ونظام الحكم والوزارة والابعاد الادارية والاقتصادية لدولة الاشراف السعديين .

## المبحث الاول

### الإشراف السعديين وتأسيس الدولة في المغرب

#### الإشراف السعديين

#### نسبهم وموطنهم

ان نسب السعديين كما اشار الناصري يرجع الى محمد ذو النفس الزكية ، فقال : ((انهم اشرف الدولة من ولد محمد : النفس الزكية رضي الله عنه ، واليه كانوا يرفعون نسبهم ويقولون في اول ملوكهم القائم بأمر الله مثلاً : هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن مخلوف بن زيدان بن احمد بن محمد بن ابي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن ابي محمد بن عرفة بن الحسن بن ابي بكر بن علي بن حسن بن احمد بن اسماعيل بن قاسم بن محمد النفس الزكية بن عبدالله الكامل بن حسن المثني بن الحسن البسط بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم))<sup>(١)</sup> .

بينما نفى الافراني انتساب السعديين الى بني سعد بن هوازن الذين منهم حليلة السعدية مرضعة الرسول (صلى الله عليه وسلم ) ، ان تسميتهم لم تأت من بني سعد قائلاً : (( ويزعم انهم من بني سعد بن بكر بن هوازن ، الذين منهم حليلة السعدية ، ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكثير من العامة واخوانهم من الطلبة يعتقدون انهم انما سمو بذلك لان الناس سعدوا بهم ، ونحو ذلك مما معنى له ))<sup>(٢)</sup> .

كان سبب قدوم السعديين الى المغرب في اوائل القرن الثامن الهجري في عهد بني طلب بعض سكان مدينة درعة الذين اتصلوا بهم اثناء موسم الحج حتى يتمكنوا بوجودهم استصلاح زروعهم وثمارهم واستقروا قرب زكورة عند تاكمدارت<sup>(٣)</sup> .

ذكر الافراني ذلك : ((ان سبب قدوم سلفهم من الينبع الى درعة ، ان اهل درعة كانت لا تصلح ثمارهم وتعتريها العاهات ، ففيل لهم لو اتيتم بشريف الى بلادكم ، كما اتى به اهل سجلماسة الى بلادهم ، لصلحت ثماركم كما صلحت ثمارهم ))<sup>(٤)</sup> .

#### العوامل المساعدة في قيام الدولة

كان وراء قيام الدولة الاشراف السعديين عدة أسباب ، اولها أن بالأشراف السعديين يرون انهم احق بالملك من بني وطاس الذين فشلوا كلياً في ضم المغرب في وحدة سياسية متماسكة ، وقد ذكر صاحب كتاب الدولة السعدية : ((لما ضعف بني مرين في أوائل المائة التاسعة وعجز المؤرخين عن تقييد قبيح ما ظهر في وقتهم ، وسيرتهم وانحطاطهم في اعين الناس ، وانقطعت

اخبار محاسنهم وخمدت نارهم وقصرت حركاتهم وسكوتهم عن الجهاد، وعجزوا عن الجواز الى الاندلس وصاروا يتماشون مع ايامهم كيف ما ارادت الرعية لا كيف ارادت ملوكهم))<sup>(٥)</sup> .

ان سوء الأوضاع والفوضى والاضطرابات داخل المغرب بسبب ضعف السلطة المركزية في فاس عاصمة المرينين، أتاح الفرصة امام البرتغاليين من مهاجمة سواحل المغرب العربي، كما استطاعوا في عام ٨١٨هـ من احتلال مدينة سبتة التي كانت تتمتع بموقع استراتيجي مهم لأشرافها على الطريق التجاري البحري بين جنوبي أوربا وشمالها الغربي واحتلوا طنجة أيضاً عام ٨٧٦هـ التي كان لها اثر كبير في سكان المغرب العربي<sup>(٦)</sup> .

ولا نشك في ان عامل الجهاد كان له الأثر كبير في دعوة السعديين سواء نبعت منهم او من خلايا شعبية دعتة الى القيام بهذا الواجب ، ولا نشك ان سكان المغرب لن يفجعهم احتلال البرتغاليين والاسبان لشواطئ المغرب والتغلغل الى المناطق الداخلية، كما افجعهم انهيار دولة الوطاسيين التي لم تعد قادرة على التصدي لهذا الخطر، وكان للعوامل التي ذكرت السبب اكبر في قبول الناس للمبايعة لأبو عبدالله محمد بن القائم عام ٩١٥هـ ، الذي كان اول عمل يقوم به هو جمع قبائل الجنوب لمجاهدة البرتغاليين، ولم يكن قد اعرب عن نيته البعيدة في الاستيلاء على السلطة وانما اقتصر عمله على محاربة الغزو الاجنبي<sup>(٧)</sup> .

#### بداية الدولة السعدية حتى عهد المنصور

لم تكن الاسرة السعدية في عهد المرينين والوطاسيين تمارس اي دور في السلطة ، ولكنهم كانوا ذو شأن ومنزلة كبير لدى سكان المغرب ، وفي أوائل القرن العاشر الهجري قام محمد القائم بأداء فريضة الحج ، فبشره بعض الصلحاء بالمدينة بأن ولديه سيملكان المغرب ، وذلك تأويلاً لرؤيا قدرها محمد القائم<sup>(٨)</sup> .

عاد محمد القائم الى المغرب في عام ٩١٥هـ ، وكان البرتغاليين قد استقروا بشمال مدينة السوس التي يسكن فيها السعديين ، ولما رأى اهل السوس قرب خطر البرتغاليين منهم اتصلوا بأحد الشخصيات الدينية وهو محمد بن مبارك الذي كان له سلطة روحية على سكان السوس من أفا في اقصى جنوب السوس وطلبوا ان ينصبوه أميراً عليهم حتى يجمع كلمتهم ويبسط سيادته على باقي المغرب ، لكنه رفض وأشار عليهم بتنصيب محمد القائم بأمر الله فقبل محمد هذه البيعة واستقر بتيديسي فتمت بيعته بها في عام ٩١٥هـ، وبذلك بدأ تاريخ حكم الاسرة السعدية في المغرب العربي<sup>(٩)</sup> .

وكان اول عمل قام به محمد القائم بأمر الله جمع أبناء القبائل وتوجه الى قتال البرتغاليين عند أكادير التي تعني لفظة أمازيغية وهي الحصن المنيع كما جاء في الموسوعة

الحرّة، واستطاع ان يحقق عدة انتصارات عليهم وعاد في عام ٩١٨هـ الى السوس ، وفي نفس العام اخذ البيعة لابنه أبو العباس الاعرج لولاية العهد، وترك المدينة السوس لابنه محمد المهدي وخرج هو وابنه ابو العباس لجهاد النصارى البرتغاليين استجابةً لنداء اهالي حاحا والشياظمه ، وفي هذا الاثناء بدأ السعديين بالدعوة وإقناع الناس لأسقاط حكم الوطاسيين الذين لم يعودا قادر على الوقوف بوجه قوات النصارى ، وفي عام ٩٢٣هـ / توفي محمد القائم بأمر الله وبويع بعده ابنه أبو العباس الاعرج<sup>(١٠)</sup>.

تمكن أبو العباس في عام ٩٣٠هـ من الاستيلاء على مدينة مراكش بعد ان استجد به أهلها الذين بايعوه قبل دخوله المدينة، ولم يظهر أبو العباس عند توجهه الى مراكش بانه قادماً للاستيلاء على المدينة فخرج حاكم المدينة ناصر بوشنتوف الى الصيد، وفي اثنا الرحلة استطاع من وضع السم له في الطعام وتمكن من قتله<sup>(١١)</sup> ، وبذلك تخلص من خصم خطر ودخل المدينة، ولم يكن الوطاسيين يقبلوا بتدخل السعديين في مراكش ، ونشبت الحرب بين الطرفين في عام ٩٣٣هـ لكن بعد تدخل العلماء والصلحاء تم الاتفاق بين الطرفين على ان يعترف أبو العباس بسيادة الوطاسيين على الجزء الواقع بين تادالا والمغرب الأوسط ، وبسيادة السعديين على ما بين تادالا والسوس ، ولكن نقضوا الاتفاق وعلى اثر ذلك تعرضوا الى هزيمة ساحقة على يد السعديين في عام ٩٤٣هـ<sup>(١٢)</sup>.

كان محمد الشيخ اخو ابي العباس الاعرج يسانده في تسير شؤون الدولة ويتولى منطقة السوس ، وكان الشيخ اذكى واكثر جرأة من أخيه وكان يستشيريه في تدبير الخطط، وكان محبوباً لدى سكان المغرب خصوصاً ان حرر منطقة السوس من البرتغاليين<sup>(١٣)</sup>، الا ان دب النزاع بينهما وتطور الى حرب بين الطرفين بسبب تأثير الحاشية ، وانتهى الامر بينهما الى عزل ابي العباس واودعه السجن مع افراد اسرته في سنة ٩٤٦هـ في مراكش وبقي فيها يعامل بإكرام حتى قتل عام ٩٦٤هـ ، وبذلك تولى محمد الشيخ حكم السعديين<sup>(١٤)</sup>.

وقد اتخذ من مدينة مراكش عاصمة له حتى يبقى قريباً من انصاره اهلي السوس، وتابع الشيخ محاولته لتوحيد المغرب الاقصى فتوجه شمالاً واستولى على مكناس عام ٩٥٥هـ وفتح حصن فشتاله ثم حاصر مدينة فاس حتى تمكن من فتحها عام ٩٥٩هـ ، وعلى اثر ذلك قام ابي الحسون الوطاسي بالاستنجاد بالأتراك بعد ان اخفق مسعاه في استمداد الاسبان والبرتغال ، واستطاعت القوات التركية دخول مدينة فاس عام ٩٦١هـ ووضعوا عليها ابي الحسون الا انه انهزم في المعركة وحاصر السعديين فاس وتمكنوا من دخولها وقتل ابي الحسون وبذلك انتهى حكم الوطاسيين في المغرب<sup>(١٥)</sup>.

## ازدهار دولة الاشراف السعديين

يمثل عهد أحمد المنصور الذي يعد أشهر السلاطين السعديين ، أوج ازدهار الدولة السعدية في المغرب ، إذ يعد أول من وضع نظاماً ثابتاً للحكومة المغربية ونظم الجهاز الإداري والعسكري والضريبي ، بشكل استمرت عليه الحكومة المغربية حتى وقت اعلان الحماية الفرنسية على المغرب سنة ١٩١٢م.

ومن أهم أعماله قام بإعادة تنظيم الجيش المغربي بالصورة التي تضمن مزيداً من إخلاصه للدولة وسياستها الجديدة، فقد استقبل جنود من الاندلس والأسرى النصارى والمرترقة من الأتراك والأوروبيين ثم السودان فيما بعد، فقد تمكن من تكوين جيش نظامي متعدد الفرق، ومنظم الصفوف، مسلحاً بأحدث الأسلحة النارية الحديثة، وقد بقي هذا النظام العسكري لقرون عدة في المغرب<sup>(١٦)</sup>.

وعمل على اتباع سياسة دبلوماسية في علاقاته الخارجية مع الدولة القوية حتى يضمن عدم الدخول معهم في حروب ترهق الدولة ، كما شهد المغرب في عهده ازدهاراً اقتصادياً لم يشهده المغرب على مر العصور، ولاسيما بعد معركة وادي المخازن التي حصل فيها على غنائم كثيرة فضلاً عن ما حصل عليه من ذهب نتيجة فداء الأسرى النصارى بعد المعركة، حتى اطلق عليه لقب الذهبي لكثرة الذهب الذي وصل المغرب هذا من جهة ، واستيلائه على السودان من جهة أخرى ونقل الذهب من مناجمها الى المغرب<sup>(١٧)</sup>.

على الرغم مما وصل اليه المغرب في عهد المنصور من ازدهار واستقرار الا انه شهد الكثير من الثورات الداخلية ، منها ثورة داود بن عبد المؤمن محمد الشيخ سنة ٩٨٧هـ الذي احتج على تولية محمد المأمون ولاية العهد بعد ابيه أحمد المنصور ، وثورة الحاج قراقوش وهو بربري ثار بمغارة وقد سمى نفس خليفة لكن ما لبث ان تم القضاء على ثورته وقتله<sup>(١٨)</sup>، وثورة الناصر بن عبدالله الغالب سنة ١٠٠٣هـ، ابن عبد الملك الذي لجأ الى الاسبان بعد وفاة ابيه ، واستغل هؤلاء الفرصة وحرصوه على تدبير محاولة انقلاب على المنصور بعد ما وصل اليه من قوة واتساع ، الا ان جيش المنصور بقيادة المأمون تمكن من سحق جنود الناصر ومطاردته واعتقله وقتله سنة ١١٠٥هـ<sup>(١٩)</sup>.

وكان من اهم الثورات الداخلية هي ثورة محمد المأمون ابن المنصور وكان قد ولاه المنصور ولاية العهد مرتين الاولى سنة ٩٨٧هـ ، وثانية سنة ٩٩٢هـ ، وعينه نائباً له بفاس ، الذي حاول ان يرجعه باللين عن سلوكه ، الا ان المأمون كاد ان لجا الى تلمسان ويستعين

بالأترك، لكن المنصور قد ظفر به وسجنه بمكانة التي ظل منفيًا بها إلى أن فر من السجن بعد وفاة المنصور وفي عهد زيدان استمرت ثورته سنوات عدة<sup>(٢٠)</sup>.

### أسباب سقوط دولة الأشراف السعديين

كان وراء سقوط دولة الأشراف السعديين عدة أسباب منها:

١- مشكلة العرش : كانت مشكلة وراثة العرش عند تولى المتوكل الحكم وعزله من عبد الملك واخيه المنصور، وتوجهه بعد ذلك إلى النصارى ، وتعين المنصور أحد أبنائه الذي كان سيء السيرة، أحدث خلافاً في الدولة استمر قرابة نصف عمر الدولة، وشغلها عن التطور ومواجهة الأخطار الخارجية<sup>(٢١)</sup>.

٢- تشكيل الجيش: اعتمد السعديين على عناصر اجنبية كثيرة في تشكيل الجيش ، حتى في بعض الاحيان نجد قيادة الجيش في يد الأتراك او المرتزقة<sup>(٢٢)</sup>.

٣- التدخل الأجنبي : كان ضعف الخلفاء السعديين واستمرار الحروب مع الاسبان والأترك العثمانيين في الجزائر، أربك سياسة السعديين الداخلية وأضعف قدرتها على مواجهة حركات التمرد<sup>(٢٣)</sup>.

٤- ظهور الحركات الاستقلالية: شهدت الدولة السعدية حركات تمرد على طول تاريخها، إلا أن قوتها زادت بعد ضعف الدولة ، والخلافات الناشبة بين افراد الاسرة الحاكمة فضلاً عن تولى خلفاء ضعفاء دفة الحكم ، وبزرت حركات منها العياشية والدلائيين وثورة ابن ابي المحلي وابي الحسون السملالي وغيرها التي عملت على اضعاف الدولة بشكل كبير<sup>(٢٤)</sup>.

٥- السياسة المالية : كان السعديون يفرضون ضرائب باهضة اثقلت كاهل الشعب خصوصاً في أواخر، حكمها وهي دلالة على نهاية الدولة، وبسبب هذه السياسة كان سكان المغرب يمدون يديهم إلى كل طامح للسلطة حتى يتخلصوا من هذه السياسة<sup>(٢٥)</sup>.



## المبحث الثاني

### النظم السياسية والادارية والاقتصادية لدولة الاشراف السعديين

#### ١- نظام الحكم

كان الحكم ورثياً بين ابناء محمد القائم بأمر الله ، اتخذ القائم بأمر الله لقب امير بعد سيطرته على مدينة درعة ومراكش ولم يتخذ لقب خليفة<sup>(٢٦)</sup>، وكان أول من اتخذ لقب خليفة هو محمد الشيخ ثم سار على ذلك خلفائه ، ونجد لقب أمير المؤمنين في إحدى مراسلات احمد المنصور التي ارسلها الى سكيه بن اسحاق بشأن إقناعه بالخضوع الى سلطانه<sup>(٢٧)</sup>، كان السعديين يرون بانهم احق في الخلافة من العثمانيين وذلك لنسبهم الشريف . وكانت البيعة تتم بحضور القضاة والفقهاء والوجهاء وكبار رجال الدولة ، ويسجل نصها كتابة حتى تصبح ملزمة على الجميع ويوقع عليها القضاة والفقهاء وكبار رجال الدولة والوجهاء<sup>(٢٨)</sup>.

#### ٢- ولاية العهد

عمل محمد القائم بأمر الله على ان تكون ولاية العهد للابن الأكبر بعده، لذا عهد بولاية العهد لابنه الاكبر ابي العباس أحمد الاعرج ٩١٨هـ<sup>(٢٩)</sup>، وان الهدف من نظام ولاية العهد هو ضمان سهولة انتقال السلطة بعد موت الامير وعدم حدوث منازعات على العرش بين أفراد الاسرة الحاكمة، وتجنب انعكاسات ذلك على الدولة . الا اننا نلاحظ عدم التزام السعديين بمسألة ولاية العهد في الكثير من الاحيان ، ومثال على ذلك لم يقر عبد الملك وأخيه أحمد المنصور ببيعة ابن اخيهما المتوكل الذي كان ولياً للعهد وتمكنوا من ازاحته من السلطة<sup>(٣٠)</sup>.

وكان ولاة العهد يقومون بمهام إدارية وسياسية وقيادة الجيوش وجهاد ضد النصارى، فقد كان ابي العباس أحمد الاعرج يخرج الى القتال بجانب ابيه القائم بأمر الله لقتال البرتغاليين ، وكان المتوكل عاملاً على فاس من قبل ابيه عبد الله الغالب<sup>(٣١)</sup>، وكان محمد المأمون على فاس في عهد ابيه المنصور على الرغم من صغر سنه وجعل معه من يساعده ، وعندما كبر اصبح المتصرف المطلق في المدينة<sup>(٣٢)</sup>.

#### ٣- الوزارة

لم يحدث السعديين تغيرات تذكر في جهاز الحكم ، الا اننا نلاحظ ان الحكام الأوائل كثيراً ما اتخذوا الوزراء من اقرب اقربائهم ، فقد كان أبو العباس احمد الاعرج بمثابة وزير وحاجب لوالده القائم بأمر الله ، وكان محمد الشيخ يتولى مهام الوزير المستشار لدى أخيه أبو العباس ، وكان عبد القادر الحران وزيراً لوالده محمد الشيخ<sup>(٣٣)</sup>. وكان وزراء عبد الملك وأخيه

المنصور على درجة ومستوى عالي من الثقافة الى جانب الأمور الإدارية والسياسية ، كأبي فارس عبد العزيز الفشتالي وعبد العزيز المزوار ، وكان المنصور يحاسب الوزراء وكبار الموظفين على عدم الالتزام باوقات العمل الرسمية ، او التأخير في الرد على مراسلات الادارية السياسية<sup>(٣٤)</sup>

### النظم الادارية والاقتصادية لدولة الاشراف السعديين

#### ١- النظام الاداري لدولة الاشراف السعديين

لجا السعديون فيما يخص التنظيم الاداري للأقاليم ، إلى اسناد ادارتها الى اشخاص من الاسرة الحاكمة ، فعبد الله الغالب اسند اقاليم فاس الى اخيه المؤمن ، وفي ٩٦٩ هـ عين مكانه محمد المتوكل ابنه ، وعين علي تادلا ابنه الناصر<sup>(٣٥)</sup> . وفي عهد المنصور قسمت ولايات المغرب بين ابنائه، ابو فارس على السوس، وابو الحسن على مكناسة ونواحيها، وزيدان على تدلا، اما فاس فقد وضع عليها محمد المأمون ولي العهد<sup>(٣٦)</sup> .

وكان احمد المنصور اكثر خلفاء السعديين اهتماما بتنظيم الاقاليم ونشاط الولاية والعمال ، ولم يكن يقبل بتأخير من كتابة تأخر الرد في المرسلات الى الولاية، كما لم يتردد في عزل ومعاينة الولاية المخالفين<sup>(٣٧)</sup> ، كما انشا مجلسا استشاريا اطلق عليه اسم ( الديوان ) او ( مجلس الملا ) اختصاصه سياسي وقضائي وعسكري ، وهو اعلى مرجع قانوني في البلاد ويقوم بإصدار احكامه حتى اذا كان على اصحاب المجلس نفسه<sup>(٣٨)</sup> .

#### ٢- النظام الاقتصادي لدولة الاشراف السعديين

لقد اولى الخلفاء السعديين الجانب الاقتصادي اهمية كبيرة وذلك لأهمية هذا الجانب في استمرارية قوة الدولة وتطورها، لذلك شهد المغرب خلال عهدهم ازدهاراً اقتصادياً على جميع المستويات الزراعية والصناعية والتجارية. فقد اهتموا بالجانب الزراعي وتوفير الظروف الملائمة للنهوض بالزراعة، إذ وزعوا الاراضي الزراعية للقبائل، ودعموا الفلاح لزراعة ارضه وتربية المواشي، وشق نواة للري وكان من اشهر المحاصيل التي تم زراعتها هو قصب السكر الذي كثر زراعته بشكل كبير حتى لم يعد له قيمة في المغرب، الا انه شهد اقبال كبير من قبل التجار الاوربيين، فأصبح يصدر بكميات كبيرة، لذا اصبح قصب السكر يمثل احد ابرز مصادر موارد الدولة<sup>(٣٩)</sup> .

اما في مجال الصناعة فقد شهدت صناعة السكر خلال عهود محمد الشيخ وعبد الله الغالب اهتماماً، إلا ان هذه الصناعة تطورت بشكل ملحوظ في عهد المنصور واكد ذلك الفشتالي قائلاً: ((فجاءت الآثار بادرار الفتوح ، ونباله الصنائع ، وتحكم الحضارة ، ولطف الاختراع

والتوليد، وسعة الذرع ، وضخامة الشكل ، بحيث لا تشبيه بينها وبين ما تقدم زمانها ... وشان هذه الخوارق الخارجية عن طريق البشر جفاء وعظمة وتوطيدا او تشيدا ما شئت من برك رحيبة وجفان كالجوارب ، وقدور راسيات ، ولوالب فلسفية ، وحركات هندسية ((<sup>(٤٠)</sup>).

اهتم السعديين بصناعة الاسلحة والذخيرة والمدافع ، والبنادق والسيوف والرماح نظراً لأهميتها في الحروب ، فقد انشا محمد الشيخ ثلاث مصانع لإنتاج الاسلحة المختلفة في مراكز وفاس وتارودانت<sup>(٤١)</sup>، واهتموا ايضاً بصناعة السفن وخصوصاً في ميناء العرائش وسلا<sup>(٤٢)</sup>. وظهر السعديين ايضاً اهتمامهم باستخراج المعادن، وتصدير بعضها خاما الى الخارج ومن اهمها ملح البارود، ومعادن النحاس والحديد والرصاص وملح الطعام فضلا عن الذهب الذي يستخرج من مناجم السودان<sup>(٤٣)</sup>.

عمل السعديين على توفير بيئة مناسبة من اجل التجارة الخارجية التي كانت تحقق من خلالها ارباح طائلة، فقد وفرت الامن والاستقرار، والمعاملة الجيدة للوفود التجارية القادمة من أوروبا أو غيرها من الدولة، فضلاً عن تخفيض الرسوم الكمركية عليهم، ووجود مواد مثل قصب السكر واللوز والجلود وملح البارود وبعض المعادن شجعت قدوم التجار اليها<sup>(٤٤)</sup>. وكانت المنافسة شديدة بين انكلترا واسبانيا التي لم تقتصر على الجانب الحربي فقط، وانما على الجانب التجاري ايضاً وخصوصاً بعد هزيمة البرتغال في معركة وادي المخازن واتحادها مع اسبانيا شجع ذلك الانكليز على اقامة علاقات تجارية قوية مع السعديين فقد كانت تستورد منها الذهب وقصب السكر والملح وتصدر لها انواع مختلفة من الاسلحة والذخائر<sup>(٤٥)</sup>.



### الخاتمة والاستنتاجات

- أهم العوامل المؤثرة في قيام دولة الاشراف السعديين كان بدافع الجهاد ولم يقيم على أساس آخر.
- اتبع اغلب حكام الدولة السعدية سياسة المهادنة مع القوى الأوروبية.
- لعل أهم حدث سياسي يرتبط باسم المنصور الذهبي ويتميز به تاريخ دولة الاشراف السعديين هو ضم بلاد السودان العربي الى المغرب الأقصى.
- كانت معركة وادي المخازن من المعارك الهامة التي خاضها المسلمون ضد النصارى.
- على الرغم من الحروب التي دارت مع النصارى الا انها لم تقطع العلاقات التجارية بين الطرفين.
- من أهم اسباب سقوط دولة الاشراف السعديين الصراع بين افراد الاسرة الحاكمة.

### الملحق

#### اسماء الخلفاء السعديين

ت	اسماء الخلفاء	مدة الحكم
١-	محمد القائم بامر الله	٩١٥ هـ
٢-	ابو العباس احمد الاعرج	٩٢٣ هـ
٣-	محمد الشيخ الاول المهدي	٩٦٤ هـ
٤-	عبدالله الغالب	٩٦٤ هـ
٥-	محمد المتوكل	٩٨١ هـ
٦-	عبد الملك الأول	٩٨٣ هـ
٧-	احمد المنصور	٩٨٦ هـ
٨-	زيدان بن المنصور	١٠١٢ هـ
٩-	عبد الملك بن زيدان	١٠٣٧ هـ
١٠-	الوليد بن زيدان	١٠٤٠ هـ
١١-	محمد الشيخ بن زيدان	١٠٤٥ هـ
١٢-	العباس بن محمد الشيخ	١٠٦٤ هـ

## هوامش البحث:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

- (١) ابو العباس احمد بن خالد، الاستقصا لاخبار دولة المغرب الاقصى ،تح : جعفر الناصري محمد الناصري، ( دار الكتاب ،الدار البيضاء،١٩٩٧م)، ج ٥ ،ص ٣ .
- (٢) الافراني، محمد الصغير (ت ١١٥٦هـ) نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي ، تح : عبد اللطيف الشادلي، ( مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٨ م ) ، ص ٣٦.
- (٣) حركات، ابراهيم، المغرب عبر التاريخ، ( دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء ،٢٠٠٠م )، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .
- (٤) الافراني، نزهة الحادي، ص ٣٣ .
- (٥) مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمذاتية ،تح:عبد الرحيم بن حادة ،(دار تيمنل، مراكش، ١٩٩٤م)، ص ١٢ .
- (٦) كريم ، عبد الكريم ،المغرب في عهد الدولة السعدية دراسة تحليلية لاهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر السياسية ،ط٣ ،(منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ،الرباط ،٢٠٠٦م )، ص ٦ ؛ الجمل، شوقي عطا الله ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا -تونس- الجزائر - المغرب )، (مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة ،١٩٧٧م )، ص ٤٩ .
- (٧) غلاب، عبد الكريم، قراءات جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الامبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر، ( دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٥ م )، ص ٢٩٦-٢٩٧ .
- (٨) حركات، المغرب عبر التاريخ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .
- (٩) الافراني، نزهة الحادي ، ص ٤٠-٤٦ .
- (١٠) الناصري ، الاستقصاء ،ج ٥ ص ١٤ ؛ حركات ،المغرب عبر التاريخ ، ص ٢٤٥ .
- (١١) الافراني ،نزهة الحادي ،ص ١٩ .
- (١٢) حركات ،المغرب ،التاريخ ،ج ٢ ص ٢٤٥-٢٤٦ .
- (١٣) كريخال، مارمول، افريقيا، تر: محمد حاجي ، (مكتبة المعارف الرباط، المغرب ،١٩٨٤م)، ص ٤٦٠ .
- (١٤) زراولة، نور الدين ومركوم، صدام، شخصية محمد الشيخ السعدي ٩٤٦-٩٦٤هـ / ١٥٤٠-١٥٥٧م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجليلي البونعامة البوخميس مليانة، ٢٠١٧م، ص ٢٣ .
- (١٥) شربيني، احمد، العلاقات الجزائرية المغربية ( ٩٠٥-١١٩٤هـ / ١٥٠٠-١٧٨٠ م )، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجليلي البونعامة البوخميس مليانة، ٢٠١٦م، ص ٣٥ .

- (١٦) الفشتالي ،ابو فارس عبد العزيز ،صفا المناهل في ماثر موليانة الشرفة ، تج :عبد الكريم كريم ، مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافية ،الرباط ،ب .ت) ص١٦٢ .
- (١٧) اسماعيل ،عثمان العثمان ،تاريخ العمارة الاسلامية والفنون الطبيعية بالمغرب الاقصى (عصر الاشراف السعديين والعلويين ) ،(الهلال العربية ،الرباط ،١٩٩٣م ) ، ج ٥ ،ص٤٦ .
- (١٨) الفشتالي ،المناهل ،٤٦ .
- (١٩) زيادة ،صفحات مغربية ،ص٤٨ .
- (٢٠) حركات ،المغرب عبر التاريخ ،ص٢٧٣ .
- (٢١) حركات ،المغرب عبر التاريخ ،ص٢٩٦ .
- (٢٢) حركات ،المغرب عبر التاريخ ،ص٢٩٦ .
- (٢٣) الجمل ،المغرب العربي الكبير ،ص١٧٢-١٨٠ .
- (٢٤) محمد ،محمد الامين والرحماني ،محمد علي ،المفيد في تاريخ المغرب ، (دار الكتب ،الدار البيضاء ،ب . ت ) ، ص٢١٢ .
- (٢٥) حركات ،المغرب عبر التاريخ ،ص٣٣٧ .
- (٢٦) الناصري ،الاستسقا ،ص٥ .
- (٢٧) حركات ،المغرب عبر التاريخ ،ص٣٠٧ .
- (٢٨) حركات ،المغرب عبر التاريخ ،ص٣٠٨ .
- (٢٩) الافراني ،نزهة الحادي ،ص٥٦ .
- (٣٠) الناصري ،الاستسقا ،ص٦١ .
- (٣١) الافراني ،نزهة الحادي ،ص٥٩ ؛حركات ،المغرب عبر التاريخ ،ص٣٣٧ .
- (٣٢) كريم ،الدولة السعدية ،ص٢٣٣ .
- (٣٣) حركات ،المغرب عبر التاريخ ،ص٣٣٦ .
- (٣٤) خليل ،شوقي ،وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة ،(دار الفكر ،دمشق ،١٩٨٨م ) ، ص٣٩-٤٠ .
- (٣٥) الزباني ،الترجمان المعرب ،ص٣٥٠ .
- (٣٦) الافراني ،نزهة الحادي ،ص١٧٥ .
- (٣٧) الفشتالي ،المناهل ،ص٤٣ ؛ الافراني ،نزهة الحادي ،ص٢٠٢ .
- (٣٨) ابو خليل ،وادي المخازن ،ص٤٢-٤٣ .
- (٣٩) طويريس ،تاريخ الشرفاء ،ص١٦٦ ؛ خروف ،عمر ،ملاحح الحياة الاقتصادية في المغرب في عهد السعديين ،مجلة الدراسات التاريخية ، بجامعة الجزائر ، ٢ ، ع ١٨ ، ٢٠١٥ ، ص٧٠ .
- (٤٠) الفشتالي ، المناهل ،ص٢٠٩ .
- (٤١) خروف ، الملاحح الاقتصادية ،ص٧٣ .
- (٤٢) ابو خليل ، وادي المخازن ،ص٤٤ .
- (٤٣) كريم ، الدولة السعدية ،ص٢٥٨ .
- (٤٤) خروف ، الملاحح الاقتصادية ،ص٧٨ .



(٤٥) زيادة، صفحات من الغربية، ص ٤٩.